تأثير مقومات قوة الدولة على سياستها الخارجية حالة دراسية (اسرائيل)

د. بسمة خليل نامق الأوقاتي

كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد

مقدمة

اتخذت البحوث و الدراسات في مجال السياسة الخارجية للدول موقعاً هاماً و متميزاً في أجندة العلوم السياسية لاتصافها بالحيوية و العملية و الحاجة الدائمة و المتنامية للافادة من ثمرة معارفها في الحياة و العمل* بشكل أكبر مما اتخذته الدراسات في المجالات الاخرى (كالفكر السياسي و النظم السياسية) التي يغلب عليها الطابع النظري المجرد. انه موضوع تخدم مفرداته ، و العلم المتحصل من خلاله ، كل الدول في كل الاوقات و الظروف لما يمكن أن يقدمه من رؤيا أوضح و فهم أفضل لواقع حي ملموس و استنتاجات و استراتيجيات تساهم في دفعه بالاتجاهات المتقدمة و المفيدة في عالم يتعاظم فيه الارتباط بين العلم و العمل حتى أصبحت التكنولوجيا وفنونها سمته الغالبة.

ان عملية بحث و دراسة و تحليل السياسات الخارجية للدول تكتسب أهمية مضافة عندما تتناول حالات كالحالة (الاسرائيلية) تجمع بين :

1- الانجاز المتواصل للاهداف بالرغم من عدم مشروعيتها.

2- التماس المباشر والحي المستمر و المؤثر في حياة منطقتنا.

و في محاولة استقصاء خلفيات و حقائق النقاط الجوهرية الحساسة في هذه المواضيع و دراستها تطالعنا جهود الكثيرين ممن سبقهم أن حازوا قصب السبق في هذا المضمار فكانت لهم نظريات و مدارس هي منارات على الطريق و ان حلق البعض منها في سماء المثاليات فيما تلمس البعض الاخر أرض الواقع حيث اتجه قسم منه الى الحديث عن الروابط التي يمكن أن تقوم بين معطيات و وقائع الجغرافيا (الطبيعية و البشرية) للبلد و بين مختلف أوجه الفعاليات

* نستذكر في هذا الاطار قول نابليون الشهير (ان السياسة الخارجية و المصير صنوان) نقلاً عن د. مازن اسماعيل الرمضاني ، السياسة الخارجية : دراسة نظرية ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، 1991 ، ص 1.

والنشاطات الاجتماعية و السياسية التي يمكن أن يسلكها ذلك البلد في حركته الداخلية والخارجية ** باعتبار أن تلك الوقائع و المعطيات مادة تكوينه و بنائه و تشكيل شعوره القومي و أعرافه و تقاليده ، فيما اتجه قسم أخر الى مفاهيم و روابط مشابهة و لكن من منطلق اعتبار أن تلك الوقائع و المعطيات منابع و محددات لطاقة (قوة / قدرة) البلد في نشاطه و حركته على الساحة الدولية بمختلف صورها و ألوانها (تعاون ، تنافس ، صراع).

ان هذه الأراء و الأفكار و رغم مضي زمن طويل على طرحها و تعرضها الى كثير من النقاش و النقد بقيت مشاركة في البناء الفكري و النظري للعلوم السياسية و ما يتصل بها ، و اني لأجد اليوم أنه قد يكون من المفيد تناول النشاط السياسي الخارجي (الأسرائيلي) دراسة و تحليلاً من هذه الزاوية فلربما نتمكن من القاء مزيد من الضوء على خلفيات و دوافع ذلك النشاط و أسباب سمات و أعرض معينة فيه وصولاً الى التكامل في فهمه من كل الزوايا و التمكن من مواجهته بفعالية و اقتدار بما يخدم أهداف امتنا حاضراً و مستقبلاً.

ترتكز فرضية البحث على أن"الضعف في مقومات (قوة / قدرة) الدولة و بالأخص المقوم الطبيعي الجيوبولوتيكي* يؤدي لزيادة الهاجس الأمني قوة بما يؤثر على سياسة الدولة الخارجية فيدفعها الى أنماط معينة من السلوك تركز على تقدم مطلب الأمن و محاولة تلبيته بشتى السبل و الوسائل".**

ان الدراسة تحاول متابعة أثار هذه الفرضية و مدى مصداقيتها في الحالة (الأسرائيلية) و تأثيرات ذلك و امتداداته على مختلف جوانب الحياة في المنطقة. ان البحث العلمي يبقى حالة حية متطورة ما بقيت الحياة التي يدرسها و يبحث في تفاصيلها فأفاقه لا تنتهي و سعيه للتكامل هدف يتقدم مسيرته باستمرار حتى النهاية التي لا يعلم مداها الا الله و في كل يوم علينا أن نغذيه بالجهد المخلص حتى يغذينا بالمعرفة و الخبرة اليقينية السليمة في مسيرة متواصلة نحو الرفعة و السمو و الكمال و الله ولي التوفيق.

** من ذلك قول للمفكر الفرنسي فكتور كويسين (أعطني خريطة بلد ما ، طقسه ، مياهه ، رياحه ، ثرواته و كل جغرافيته الطبيعية ... فأتعهد من جانبي أن أحدد تبعاً لذلك الدور الذي يؤديه في التاريخ لا بصفة عرضية و انما بالضرورة و على وجه الدوام) نقلاً عن سعد جاسم محمد ، سياسة بناء القوة في المفهوم الصهيوني : دراسة في الجغرافيا السياسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى قسم الجغرافيا في كلية الأداب ، جامعة بغداد ، 1985 ، ص 10.

*** المقصود هنا بالواقع الطبيعي الجيوبولوتيكي للدولة أي واقع أرضها و موقعها الجغرافي و ليس عقيدتها الجيوبولوتيكية.

القسم الأول : أفكار أولية عامة.

البحث في أية ظاهرة سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية بحاجة الى بعض التمهيد النظري الذي يعد عاملاً مهماً في المساعدة على ازالة أي غموض أو التباس يرد في معاني و مفاهيم مفردات لغته ، كما أنه يعد مدخلاً و أرضية يقوم عليهما بنائه و تكوينه و أن الحاجة لذلك تصبح أكثر الحاحاً بوجود تعقيدات و صعوبات و تباين في وجهات النظر ، لذلك و في اطار هذا البحث لابد أن نبدأ باستعراض بعض الأفكار الأولية و المفاهيم العامة لموضوعي السياسة الخارجية و قوة الدولة و مدى ترابطهما و كيفية ذلك الترابط محاولين استخلاص و بلورة بعض التصورات عن ذلك وصولاً الى أهداف البحث في كشف العلاقات و أليات التأثير و التأثر بينهما تمهيداً لتقصي ذلك في تفاصيل التجربة (الأسرائيلية) و نشاطها السياسي الخارجي و استخلاص الدروس و العبر المهمة و المفيدة في هذا الشأن قدر المستطاع.

المبحث الأول : السياسة الخارجية.

عند النظر في مختلف الدراسات و البحوث و المقالات التي كتبت و تكتب عن السياسة الخارجية نجد أن ليس هناك من رأي سائد أو اتفاق بين الأساتذة و الباحثين حول طبيعتها و حدودها و العوامل المشتركة في صياغتها و التأثير عليها ، فهناك من يفهما بأنها مجموع النوايا Intentions التي تدفع بالدول الى نمط معين من السلوك ، أو أنها الخطة أو الخطط Plans أو القرارات Decisions أو الغايات Aims أو المباديء العامة General Principles أو النشاطات Activities أو الأحداث Events أو أنها أفعال Actions أو مجموعة ردود الأفعال Reactions أو السياسة Policy أو منهج العمل Course of Actions و غير ذلك[1].

و كما أن الرأي خارج الوطن العربي منقسم حول الموضوع كذلك هو الحال داخله ، و في ضوء مضامين أراء مجموعة من الباحثين العرب حول الموضوع يمكن القول أنها تتوزع على محورين عامين يعتبر أحدهما السياسة الخارجية للدولة هي الفكرة أو الخطة التي ترسم بموجبها

[1] راجع مجموعة تعاريف السياسة الخارجية في : د. أحمد نوري النعيمي ، السياسة الخارجية ، الدار الجامعية الطباعة و النشر و الترجمة ، بغداد ،2009 ، ص ص 21 – 27. و كذلك د. مازن اسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 24 – 26.

العلاقات الخارجية لدولة معينة مع غيرها من الدول[2] فيما يعتبرها الأخر نمط الفعل أو الحركة أو السلوك السياسي الهادف و المؤثر الذي تتحرك من خلاله الدولة أو اللاعبون الدوليون عموماً حيال الوحدات الدولية الاخرى منفردة أو مجتمعة[3].

أن هذا الخلاف و التباين في الرأي حول الموضوع و سائر المواضيع الاخرى المتعلقة به يعزوه البعض لقلة المعلومات و المعرفة المتيسرة[4] فيما يعتبره البعض الاخر ناجما عن تعدد الاتجاهات و المناهج البحثية نتيجة تعدد الباحثين و اختلاف منطلقاتهم الفكرية[5]. اننا و تجنباً لأستطرادات تفصيلية معمقة بهذا الشأن نجد أنفسنا و نتيجة للقيود التي تفرضها تحديدات البحث مضطرين للقول و باختصار أن السياسة الخارجية لأي بلد أو امة أو جماعة لا يمكن أن تكون عبارة عن خطط فقط أو أفعال مجردة فقط ، فالخطط قد لا يصار الى ترجمتها جميعاً الى وقائع أضف الى ذلك أن حصر نطاق التعريف بالخطط و النوايا على الرغم من أهميته بدفعه للجهد البحثي للتركيز على النواحي الجوهرية الكامنة خلف السلوك و الأفعال الا أنها يمكن أن تنزلق بذلك الجهد من ساحة الوقائع الملموسة الى البحث في ساحة النوايا و الأفكار المستقرة في العقول مما قد يدفع للانزلاق باتجاه تصورات و أحكام ذاتية بعيدة عن الموضوعية والدقة ، كذلك فان الأفعال و أن شكلت مرجعاً موضوعياً الا أن التركيز عليها لوحدها ربما يحصر البحث في نطاق المظاهر والقشور ويمنعه من الولوج الى لب القضايا كذلك فانه قد يخلط الغث بالسمين مما يورط البعض بفقدان القدرة على الفرز و التمييز بين المهم و الأهم من مختلف جوانب السياسة الخارجية فيؤدي الى تشتيت الانتباه و الأهتمام بالأمور الثانوية و الى ضعف الامكانيات في الامساك بالخيط الرابط بين التفاصيل.

اننا و حين نركز في دراستنا للسياسة الخارجية على الأفعال و الوقائع الموضوعية ليست غايتنا الأكتفاء بدراسة ظواهر تلك الأفعال و السلوكيات بصفتها المسماة تحديداً و أنما السعي

---

[2] د. فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية و أبعادها في السياسة الدولية ، مطبعة شفيق ، بغداد 1975 ، ص 22.

[3] د. مازن اسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص 33.

[4] د. مازن اسماعيل الرمضاني ، السياسة الدولية ، بحث منهج اتخاذ القرار السياسي الخارجي ، مجلة العلوم السياسية و القانون ، كلية القانون و السياسة ، الجامعة المستنصرية ، العدد الأول ، 1976 ، ص 140.

[5] فكرت نامق عبد الفتاح ، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية 1953 – 1958 ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ،1981، ص17.

للوصول الى مدلولاتها و ما ورائها من أهداف و مقاصد و دوافع تحركها ، فحتى لو سلمنا جدلاً بوجود كيان في عالمنا المعاصر يتمتع بتصرفات متذبذبة متباينة اعتباطية و ارتجالية ذات طبيعة آنية و خالية من أي فكرة أو خطة أو استراتيجية فذلك في حد ذاته سمة و خاصية تستلزم تشخيصها و تمييزها و التعرف عليها و على أبعادها وحجمها الحقيقي وعدم القبول بالوقوف عند أطرافها الخارجية الظاهرة.

ان السياسة الخارجية تتضمن في كل الأحوال بعداً فكرياً مرتبطاً بنوايا و خطط بالاضافة الى النشاطات و الأفعال المادية الملموسة الظاهرة ، و على هذا الأساس يمكن أن ننتهي الى تعريف عملية السياسة الخارجية بأنها : "كل أنواع النشاطات بكافة أبعادها و مدلولاتها التي تصدر عن الدولة أو الامة أو التنظيم السياسي عبر الممثلين الرسميين المخولين بالسلطة بقصد التأثير على الأطراف الخارجية من أجل تأمين الغايات و المصالح المطلوبة".

ان من أهم الخواص الرئيسية للسياسة الخارجية كونها عملية علائقية بين طرفين (الذات و المحيط الخارجي) حيث ترتكز أساساً على معالجة مسألة التأثر و التأثير بينهما ، و أن خاصية التأثر و التأثير هذه و التي هي لب الموضوع لا يمكن أن تقوم بدون طاقة ، و الطاقة هنا تتجسد في موضوع القوة.

المبحث الثاني : القوة

التفت المفكرون السياسيون مبكراً لموضوع "القوة" و حاولوا تحليله و ابراز مكنوناته ، فكانت القوة تعني عند الاغريق مثلاً "المبادرة التي تمكن الرجل الموهوب من فرض ارادته و رغبته على الأخرين"[6] ، لقد وقع بعض الكتاب و الباحثين في هذا الموضوع في خلاف حين تناول كل واحد منهم جانباً جزئياً محدداً من الموضوع و أغفلوا الطبيعة المركبة المعقدة و الشمولية له ، حيث نجد مثل هذه النظرة و التوجه لدى (رايت مل) الذي قال "ان كل السياسة صراع من أجل القوة و الشكل النهائي للقوة هو العنف"[7]. ان توسع افق الرؤيا و تظافر الجهود للباحثين في مختلف حقول الدراسات الانسانية ساهم في انتاج مفاهيم حديثة أكثر تطوراً و تكاملاً لموضوعة

[6] د. كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، جامعة بغداد / كلية العلوم السياسية ، شركة أياد للطباعة الفنية ، بغداد 1987 ، ص 156.

[7] نفس المصدر ، ص 157.

القوة بما يؤهلها للمشاركة في عملية بناء التفسير العلمي لحركة السياسة الخارجية. ان كشف و استيعاب العلاقة الجدلية و التأثير المتبادل بين الواقع المادي و الوعي الانساني و على كافة المستويات بدءاً بالقاعدة الابستمولوجية* و انتهاءاً بها ، في حركة ديالكتيكية كان له الأثر الكبير في تعزيز و تعميق أفكارنا حول الموضوع و ازالة التشويش و الالتباس المحيط بها. في هذا السياق ظهر للقوة مفهومان رئيسيان أحدهما يركز على الجانب المادي المرتبط بالجبر الفيزياوي و العنف الظاهر و ينسجم و مصطلح القوة Force و الأخر ارتكز على عموم جوانب الموضوع الطبيعية و الانسانية (المادية و المعنوية) لينسجم بذلك و مصطلح القدرة Power, Puissance.

اننا و في اطار هذا البحث سنستخدم عبارة (القوة / القدرة) للدلالة و التعبير عن المفهوم الذي يهمنا و يعنينا في بحث السياسة الخارجية و هو المفهوم الثاني فيما ورد أعلاه الذي يحوي الطبيعة المركبة لموضوعة القوة. ان المفهوم الأول أعلاه و ان دخل أحياناً في النشاط السياسي الخارجي للدول الا أنه يبقى دخولاً محدوداً في الدور و المرحلة باعتباره يرتبط بمواضيع الحرب و العنف وهي جوانب في السياسة الخارجية و ليست كل السياسة الخارجية و هي مرحلة في حياة الدول و ليست كل حياتها و هذا ما يمكن استشفافه لدى البعض من الباحثين في هذا الحقل[8].

المبحث الثالث : مقومات (القوة / القدرة)

ان حصر و تعداد كل مقومات و عناصر و منابع و موارد و امكانيات القوة / القدرة و ترتيبها في قائمة موحدة تتمتع بقدر من الثبات و الاستقرار و القبول يعتبر محاولة صعبة جداً ان لم تكن مستحيلة ذلك أن الكثير من تلك المقومات و العناصر متغيرة القيمة و الاعتبار فقد تعتبر حيناً مقومات للقوة / القدرة و حيناً أخر عبئاً أو قيمة مهملة لا تنفع و لا تضر وذلك كله تبعاً :

1- الدور الانساني المشارك في عملية بناء القوة / القدرة و صنع السياسة الخارجية.

2- التأثيرات المتبادلة بين مختلف المقومات و العناصر المادية الطبيعية.

---

* الأبستمولوجيا Epistemology كلمة أغريقية الأصل بمعنى علم أو نظرية المعرفة و هي تشكل قاعدة أساسية لكثير من الأفكار و المفاهيم كالوعي الانساني و مصدره والارادة الانسانية والجبر والاختيار كذلك تؤثر في بناء كثير من المواقف و القيم والاعتبارات.

[8] راجع في هذا الشأن د. جاري محمد ، القدرة في التنظيم الدولي المعاصر ، المجلة العربية للدراسات الدولية ، المركز العربي للدراسات الدولية ، السنة الأولى ، صيف 1988 ، ص ص 45 – 65.

رغم كل ذلك يمكن القول أن هناك قاسم مشترك بين دراسات و بحوث كثيرة في هذا المجال على تسمية مجموعة عوامل رئيسية أساسية تؤثر تاثيراً حاسماً في بناء معادلة القوة / القدرة ومن بين تلك العوامل الأساسية والأولية للدولة :

1-الأرض وخواصها الطوبوغرافية من شكل ومساحة وموقع وامكانيات وموارد طبيعية.

2-السكان وخواصهم الأساسية من حجم وتركيبة اجتماعية وعرقية وثقافية ومهنية وغير ذلك من صفات وخواص.

3-الامكانيات التي تقدمها البيئة الدولية من خلال القانون الدولي والأوضاع الاقليمية والدولية.

4-الدور الأنساني في صياغة معادلة القوة / القدرة والمتمثل في معامل الكفاءة للقيادة السياسية و قدرتها على استيعاب معادلات القوة / القدرة و توازناتها و الوعي بها و النجاح في جمع و توليف العوامل المادية الطبيعية للقوة / القدرة بمختلف اشكالها و أحداث التفاعل بينها و افراز طاقة القوة / القدرة و قد أطلقت عليه بعض الدراسات عامل (الذكاء و المهارة)[9]. ان التعامل مع هذا العامل على المستوى النظري يعتبر من المواضيع المعقدة المتداخلة مع أكثر من موضوع فهو من جهة يرتبط فهم بنائه وتركيبه بدراسة النظم السياسية ، كما أن منهجاً في دراسة ظاهرة السياسة الخارجية يعتبره محوراً تدور حوله الظاهرة ومن خلاله يتم بحث ومناقشة بقية العوامل المؤثرة في الموضوع. انه وان كان يبدو في بعض الاحيان ومن بعض الزوايا كتحصيل حاصل للعوامل المذكورة سابقاً وغيرها من العوامل الا أن افراده و تمييزه وابرازه يعتبر أمراً مهماً لابد منه لفهم تركيبة القوة / القدرة و تفاعلاتها.

ان عوامل اخرى مهمة و حيوية تشترك بالتأكيد في عملية بناء القوة / القدرة كالعوامل الاقتصادية و مستوى التطور الحضاري والامكانيات العسكرية وأن عدم ذكرها هنا لا ينبع من عدم تقدير لعظم أهميتها وانما من رغبتنا في التركيز والاختصار وذكر العوامل الأساسية.

---

[9] د. عبد المنعم سعيد ، ادارة الأزمات و الصراعات الدولية : الأسئلة التي يجب اثارتها في الواقع العربي الراهن ، مجلة المنار (الباريسية) ، العدد 20 ، السنة الثانية أب 1986 ، ص ص 61 – 62.

من بين مجموعة العوامل و المقومات المؤسسة للقوة / القدرة ، يعد العاملان الأقتصادي والعسكري اللذين يستندان في وجودهما الى تفاعل و حركة العوامل الأساسية الأولية المذكورة أعلاه (الأرض ، السكان ، البيئة الدولية ، معامل الكفاءة للقيادة السياسية).
مما سبق يمكن كتابة شكل رياضي مبسط لمفهوم القوة / القدرة و كما يلي :

الموارد والامكانيات المادية الطبيعية X معامل الكفاءة للقيادة السياسية = القوة / القدرة[10].

ان مقدار ومستوى القوة / القدرة التي تتمتع بها الدول ليست خاصية ساكنة ثابتة باقية على حالها عبر الزمن بل هي على العكس من ذلك شيء ديناميكي ونسبي يتغير حسب الظروف والزمن والتطورات في البيئتين الداخلية و الخارجية والجهد الأنساني المبذول لتحويل تلك الموارد و الامكانيات الطبيعية داخلياً و خارجياً الى وسائل و أدوات للتعامل و التأثير على المستوى الدولي.

ان أغلب الامكانيات و الموارد التي تم الاشارة اليها أعلاه عرضة للتغيير عبر الزمن فالسكان عامل متغير حجماً و تركيباً ، كذلك المستوى الحضاري و التكنولوجي ، أما العامل النفسي والمعنوي فهو وان كانت بعض مرتكزاته مستقرة كالدين و العرف و التقاليد و الطبائع الاجتماعية الا أن الرأي العام كثيراً ما يتأثر بمحيطه و تتقلب أحواله و اتجاهاته خصوصاً في ظل ظروف سياسية غير مستقرة أو قيادة غير كفوءة ، حتى الأرض التي تعتبر من العوامل الأكثر ثباتاً و استقراراً هي عرضة لتغير القيمة نتيجة تغير أهمية الموقع و اعتبارات المساحة في ضوء تغير البيئة الاقليمية و الدولية.

ان مقومات و موارد القوة / القدرة في اطار النشاط السياسي الخارجي للدولة تتأثر كثيراً بالدور الانساني للأنسان في موقع السلطة و القرار كذلك هي تؤثر فيه في علاقة جدلية حية مستمرة و متواصلة. ان شكلاً معيناً لمقومات الأرض أو السكان أو البيئة الدولية لابد أن يفرض أو يؤثر (ان بصورة مباشرة أو غير مباشرة) على صانع القرار ، والخيارات السلوكية المتاحة أمامه لتحقيق أهدافه و ربما حتى في تحديد تلك الأهداف والغايات. ان العلاقة الحية بين الجزء

[10] راجع في ذلك د. أزهر محمد السماك ، الجغرافيا السياسية الحديثة ، مطبعة جامعة الموصل ،1993 ، ص 34. كذلك راجع د. جاري محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص 64.

المادي الطبيعي (الأرض و السكان و أوضاع البيئة الدولية) و الجزء الانساني الحيوي الفعال في معادلة القوة / القدرة من العلاقات المهمة الاساسية التي يؤدي استعيابها الى فهم أفضل و أكثر عمقاً لحركة السياسة الخارجية و بالتالي امتلاك القدرة على الفعل المبدع في اطارها ، فحتى الباحثين الذين يؤكدون على الجوانب الادراكية في السياسة الخارجية يوافقون بأن البعد الاساسي للقوة والمساحة والسكان والاقتصاد والجيش يشكل المحدد الاساسي في ادراك الدولة لنفسها وادراكها للدول الاخرى[11]. وعلى الرغم من التقدم التكنولوجي الهائل واختراع أنواع الغواصات والطائرات والصواريخ العابرة للقارات والتي أدت الى تقليل أهمية ودور الموقع الجغرافي الا ان تأثيره ما زال قائما في المنازعات الساخنة بين الدول الصغرى، والحروب المحدودة[12].

القسم الثاني : <u>ملامح وسمات السياسة الخارجية الاسرئيلية</u>.

تقتضي أصول البحث العلمي[13] عند دراسة أي موضوع البدء بالرصد الدقيق لظواهره تحديدا وتوصيفا بأعتبارها نقطة الاتصال بيننا و بين الموضوع وهي بمثابة السطح الخارجي له الذي لابد من اختراقه لسبر أغواره و استكشاف خلفياته و المتغيرات التي شاركت في تكوينه و نسج أليات وجوده و شبكة علاقاته. ذلك ما يجعلنا نبتديء بحثنا في الحالة الاسرائيلية بالتعرف أولاً على أبرز ملامح السياسة الخارجية الاسرائيلية و سماتها وطبيعتها وذلك قبل الانتقال الى مرحلة تحليلها والتعرف على دوافعها او قسم من هذه الدوافع ومكانة و دور مقومات القوة / القدرة بين تلك الدوافع.

---

[11] علي محمد سعيد ، الاطار الدولي للسياسات الخارجية لدول العالم الثالث ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، 1989 ، ص ص 63 – 64.

[12] د. محمد طه بدوي ، تعريف بالسياسة الخارجية ... و بمناهجها الثورية في المجال الدولي ، المجلة المصرية للعلوم السياسية ، العدد 39 حزيران 1964 ، ص 27.

[13] راجع في هذا الشأن د. أحمد بدر ، اصول البحث العلمي و مناهجه ، وكالة المطبوعات ،ط4، الكويت ، 1978 ، ص 26. كذلك انظر ا. د. عبد الرضا الطعان و ا. د. صادق الأسود ، مدخل الى علم السياسة ، جامعة بغداد ، مطابع جامعة الموصل 1986 ، ص ص 123 – 126.

يقول دافيد بن غوريون "ان الأمن يجب أن يكون النقطة المحورية التي تتحرك حولها السياسة الخارجية الاسرائيلية"[14] و يؤكد على ذلك ايكال ألون بقوله "ان الأمن هو المشكلة الأساسية لوجودنا القومي"[15] كذلك يقول موشي دايان "ان ما يقرر سياستنا هو الأمن"[16] و يتابع مناحيم بيغن فيقول "ان الامن يتصدر اهتماماتنا"[17] و تتوالى التصريحات و الخطط لبقية قادة و رموز ذلك الكيان لتؤكد جميعها على تقدم هدف الأمن و سيطرته المطلقة على حركة السياسة الخارجية في مختلف صورها و مراحلها ، في التسوية و مشاريعها كما في الصراعات و الحروب و في المجالات الاقتصادية كما في المجالات العسكرية و في ساحات الدبلوماسية كما في ساحات القتال. ان قادة و زعماء اسرائيل بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم قد يختلفون في كثير من الامور والتفاصيل الا في أولوية مبدأ الأمن فالجميع مجمعون عليه[18]. و هو يمثل قضية جوهرية و محورية لديهم حيث تتجسد مظاهر ذلك في كثير من الجوانب و الأمور و منها :

1- التركيز على بناء قدرات و امكانيات عسكرية كبيرة و فعالة بشكل دائم و مستمر. لقد حسم الكيان الصهيوني ليكون الدولة المعسكر ليضمن تفوقاً دائماً على العرب مجتمعين ،والآلة العسكرية الصهيونية هي التي مازالت تملك اليد العليا وفوق كل الطبقات الاخرى ، ولفظ عسكرة الاقتصاد المحلي التي يطلقها الخبراء على الاقتصاد الاسرائيلي تعني أن الدولة تلجأ الى تسخير القطاعات الاقتصادية المختلفة لخدمة الأستراتيجيات العسكرية بما يتطلبه ذلك من رصد استثمارات هائلة و تركيز الاستخدام في القطاع العسكري على الشريحة من قوة العمل التي تشمل ذوي الخبرات العلمية و المهارات الفنية الرفيعة[19]. و فيما يلي أهم جوانب تركيز الكيان الصهيوني لبناء القدرات العسكرية :

---

[14] Ben Gurion , Rebirth and Destiny of Israel , New York 1954 , pp 227 – 232.

[15] الياس شوفاني ، مشاريع التسوية الاسرائيلية 1967 – 1978 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت 1978 ، ص 70.

[16] د. سلمان رشيد سلمان ، اسرائيل و التسوية ، دار ابن خلدون ، بيروت 1975 ، ص 128.

[17] فضل طلال عباس المحياوي ، السياسة الخارجية الاسرائيلية و أبعاد التعامل الاقليمي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى معهد البحوث و الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة 1990 ، ص 108.

[18] راجع في هذا الصدد : رعد قاسم صالح اسماعيل العزاوي ، السياسة الخارجية الاسرائيلية : دراسة في الثوابت ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد 1994 ، ص ص 62 – 65.

[19] مجلة الدستور ، لندن ، العدد 411 في 20 / 1 / 1986 ، ص 32.

أ- التخصيصات المالية الكبيرة للأغراض العسكرية في الميزانية العامة حيث تعتبر الميزانية العسكرية الأسرائيلية من أكبر الميزانيات و أضخمها في العالم كله قاطبة حيث تحتل المرتبة الأولى في العالم في نفقاتها العسكرية بالنسبة للدخل القومي العام[20] بحيث كانت نفقات الدفاع تمثل أكثر من 45% من الميزانية العامة بين السنوات 1949 – 1954 و كان نصيب الفرد الواحد منها في نهاية الستينات حوالي 500 دولار سنوياً و هو يمثل أعلى نسبة انفاق عسكري في العالم[21] و بمقارنة الميزانية العسكرية لذلك الكيان بالميزانية العسكرية للولايات المتحدة التي لاتزيد نسبتها عن 10% من دخلها القومي نلمس الفرق الكبير بين الميزانيتين و يبرز واضحاً الى أي مدى يركز الكيان الاسرئيلي اهتمامه بالأمن حيث يقول رابين في هذا الصدد "ان بقاء اسرائيل كدولة مشروط و مرهون بقدرتها على الاعتماد على قوتها العسكرية للدفاع ضد أي مهاجم" فغياب القدرة العسكرية الكافية يشكل في رأيه مجازفة كبيرة لبقاء دولة اسرائيل في المستقبل[22].

ب- اعداد و تدريب كافة أفراد المجتمع على القتال بالأخذ بمبدأ الخدمة العسكرية الألزامية للجميع لتهيئة أكبر عدد ممكن من المقاتلين الاحتياط لأسناد الجيش النظامي المحترف و المتخصص. ان جميع السكان في الكيان الأسرائيلي في حالة دائمة من التأهب للحرب فأكثر من 10% من القوة البشرية العاملة هناك تعمل بصفة دائمة في القوات المسلحة و الصناعات الحربية و هي نسبة لا تتفوق عليها في العالم كله سوى الولايات المتحدة التي تبلغ 14% ، و عند الحرب يوجه ثلث القوة العاملة للأغراض العسكرية. ان أكثر من 40% من اجمالي عدد السكان في سن القدرة على حمل السلاح معدة لتأدية وظائف عسكرية فمنظمات الناحال و الشبيبة الطلائعية المحاربة التي تقوم بأنشاء المستعمرات و تحولها الى مستوطنات دائمة ، بالاضافة الى فرق منظمة الجدناع التي تضم الشبان الصغار لتؤهلهم عسكرياً كلها تعد الشباب للخدمة

---

[20] نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في 16 / 11 / 1971.

[21] لمياء فوزي الكيالي ، أعباء التسلح على الاقتصاد الأسرائيلي في مجموعة من الباحثين ، التسلح في العالم الثالث ، جامعة بغداد ، مركز دراسات العالم الثالث ، جامعة الموصل 1989 ، ص 286.

[22] نفس المصدر.

العسكرية و لذلك كانت السياسة تخضع منذ البداية للأعتبارت العسكرية ، حتى موجات المهاجرين الجماعية في عام 1948 كانت ترعى اعتبار استقدام المقاتلين الشبان ، و مازال الكيان الصهيوني يعمل على ضمان تفوق العنصر البشري اللازم للأغراض العسكرية[23].

ج- اعداد خطة تعبئة و استدعاء للأحتياطي العسكري سريعة و فعالة و كفوءة حيث تستطيع اسرائيل أن تعبيء قواتها المسلحة في خلال 24 ساعة[24] بعد أن تباشر قواتها الجوية المتفوقة بالرد الفوري المباشر و تستر و تحمي عملية التعبئة السريعة هذه ، و هذا كله يتيح لها أن تبقي الجزء الأكبر من قواتها في الاحتياط بما يؤمن لها سيراً سلساً للحياة المدنية الطبيعية لأطول فترة ممكنة قبل أن تستجيب لضغط اللحظات الحرجة المتأزمة في الصراع و لحظات الحسم.

د- محاولة الحصول على أحدث الأسلحة و أكثرها تقدماً و كفاءة و في ذلك سعت اسرائيل و منذ تأسيسها الى الحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من سلاح حيث تمكنت في فترة الستينات من الحصول على الطائرات الفرنسية و عقب الحظر الفرنسي عام 1967 بدأ الأسرائيليون يضغطون بكل ما أوتوا من قوة لبناء ما فقدوه في باريس بالتعويض عنه في واشنطن[25] فانهالت كميات هائلة من الأسلحة الأمريكية على اسرائيل و كان الجسر الجوي الأمريكي الذي قام بنقل المعدات العسكرية الأمريكية لأسرائيل في فترة حرب أكتوبر عام 1973 خير شاهد و دليل على هذا التعاون ، حتى أنه أحدث اختلالاً في ميزان القوى لصالح الكيان الصهيوني وأدى الى تعديل نتائج الحرب. و في أيلول من عام 1981 وقعت اسرائيل مع الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقاً للتعاون الأستراتيجي يشمل اقامة مستودعات من الأسلحة و الذخائر و دعماً في كافة المجالات العسكرية[26].

---

[23] نفس المصدر ، ص 284.

[24] الفريق أركان حرب سد الدين الشاذلي ، حرب اكتوبر : مذكرات ، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة و النشر ، باريس ، بالتعاون مع دار المحرر للطباعة و النشر ، بيروت ، طبعة اولى 1980 ، ص 86.

[25] لمياء فوزي الكيالي ، مصدر سبق ذكره ، ص 293.

[26] د. زياد خالد الدليمي ، الاتفاق الستراتيجي بين الولايات المتحدة و اسرائيل عام 1981 ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية ، نشرة خاصة ، 1986 ، ص ص 36 – 39.

هـ- بناء صناعات عسكرية متطورة جداً و لمختلف أنواع الأسلحة و الوصول بها الى مرحلة تصدير السلاح و المنافسة على تسويقه. لقد بدأت الصناعة العسكرية الاسرائيلية منذ عام 1949 حين أصدر دفيد بن غوريون رئيس الوزراء الاسرائيلي الأول أوامره بتحويل عدد من الصناعات المتفرقة الى صناعات عسكرية بحتة بل و حتى قبل ذلك حسب ما ترويه مذكراته[27] و لقد حدث تطور كبير في هذه الصناعات عبر الزمن بحيث أنها وصلت اليوم الى انتاج الدبابات (دبابات ميركافا بأجيالها المختلفة) و الطائرات و الصواريخ (كصاروخ أريحا) و المعدات ذات التكنلوجيا العالية كالأقمار الصناعية ، هذا بالأضافة الى أنواع عديدة من الأسلحة كالصواريخ البحرية و الجوية و راجمات الصواريخ و المدافع و البنادق و الرشاشات بالأضافة للزوارق و السفن.

و-الحصول على السلاح النووي و أسلحة الدمار الشامل و وسائل حملها و ايصالها للهدف ، حيث سعت اسرائيل و منذ مطلع الستينات الى الحصول على التكنولوجيا النووية. و تشير التقديرات في هذا المجال الى أن الكيان الاسرائيلي يمتلك في الوقت الحاضر قرابة (200) مئتي رأس نووي من عيار 20 كيلوطن تقريباً. و قد طورت اسرائيل صورايخ بالستية بعيدة المدى (أريحا – 2) قادرة على حمل رؤوس نووية.

2-اعتماد عقيدة عسكرية هجومية ترتكز على :

أ- تنفيذ عمليات عسكرية أو مخابراتية استباقية وقائية و في هذا الاطار يمكن استذكار الكثير من الشواهد والأحداث في هذا السياق و التي من بينها ضرب معدات المفاعل النووي العراقي قبل شحنها الى العراق في مطلع ثمانينيات القرن الماضي و ضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس و ضرب قافلة معدات في السودان كان المتوقع أن تستفيد منها حماس كذلك السيطرة على سفينة شحن اسلحة في البحر المتوسط عام 2009.

ب- محاولة ادارة المعارك على أراضي الخصم و الابتعاد بها قدر المستطاع عن مركز الأراضي التي تسيطر عليها على اعتبار أنها أجزاء أساسية من كيانها الغاصب.

[27] أحمد بهاء الدين ، اسرائيليات ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 5، بيروت، 1972 ، ص ص 112 – 113.

ج- اتباع اسلوب الحرب الخاطفة باجراء معارك سريعة تعتمد الحركة و تستعين بثنائي الدبابة / الطائرة لتحقيق نتائج سريعة و الابتعاد عن الحرب طويلة الأمد.

3-اتباع نهج دبلوماسي متميز يشهد على تميزه الكثير من الباحثين و المتخصصين[28]. و ترتكز أهم صفاته و خواصه في :

أ- الحضور الفعال و البارز و المستمر و الدائم و الذي لا يصيبه الفتور أو الكلل أو الضعف.

ب- اتباعه عقيدة هجومية ترتكز على الاصرار و التمسك بالهدف في جوهره و ابداء المرونة و الابداع في المراوغة و المناورة و طرح البدائل المتعددة المختلفة في المظهر و التي تخدم جميعها جوهر الاهداف و الغايات الاسرائيلية من دون أي تنازلات جدية.

ج- استخدام وسائل الحرب النفسية والاعلام بمختلف صوره وأدواته الحديثة التي تشمل الفضائيات و وسائل الانترنت و شركات التسويق الاعلامي والعلاقات العامة والتي تمثل لوبيات تجاه أصحاب القرار في مختلف دول المنطقة و العالم.

د- ترويج ثقافات تفكك اجتماعي و اسري و اثارة الازمات داخل النسيج الاجتماعي لدول المنطقة بما يؤدي الى انهيارات اجتماعية و نفسية و اشاعة ثقافة الفردية المطلقة و الانانية و ازدراء الماضي و التاريخ.

هـ- محاولة التدخل في أغلب التفاعلات الرئيسية التي تجري في المنطقة و عدم ترك مجرياتها للصدفة المحضة دون أن تكون خاضعة لحسابات دقيقة.

لقد بدأت الحركة الصهيونية نشاطاتها و هي لا تملك بين يديها من مقومات القوة / القدرة المادية الطبيعية الأولية الا النزر اليسير حيث لا أرض و لا مجتمع موحد متمركز تلفه حياة مشتركة و ينتج نمواً اقتصادياً و حضارياً ، لم يكن هناك سوى بعض امكانيات تقدم حضاري و اقتصادي لأفراد و طوائف متناثرة في شتى بقاع الأرض على شكل غيتوهات يجمعها مقوم و عنصر معنوي يتمثل بالعقيدة و القيم و الأعراف و التقاليد الجامعة و الموحدة و أوضاع و ترتيبات في بيئة دولية تمنح بعض الفرص لمن يجيد ادراكها و الاستجابة لشروطها و التعامل معها بالشكل

[28] راجع حول ذلك د. فايز صايغ ، الدبلوماسية الصهيونية ، دراسات فلسطينية 13 ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، مطابع فغالي، بيروت،1967 ، ص ص 32 – 43. كذلك غسان محمد عبد العزيز المانع ، دور الدبلوماسية الاسرائيلية في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية : التسوية مع مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1997 ، ص ص 16 – 48.

المناسب و في اللحظة المناسبة و هكذا كان التركيز على الدبلوماسية و الاتصالات و النشاطات السياسية كمنهج و أداة لتحقيق الأهداف الصهيونية مترافقاً معه النشاط المخابراتي الخاص الذي يشمل أعمال التوريط و بناء التنظيمات المتنوعة المشبوهة كالماسونية أو تغذيتها و كذلك نشاط الهجرات الاستيطانية لخلق وقائع جديدة على الأرض و حين جاء قرار التقسيم و تم الأعلان عن الدولة و دخل الصراع العربي الصهيوني مرحلة جديدة كانت السمات و الملامح التي ذكرناها أعلاه هي الطابع الذي طبع كل تفاصيل سياسة اسرائيل الخارجية و منذ اللحظات الأولى لقيام ذلك الكيان ، و في ذلك تاريخ طويل مليء بالشواهد والأدلة كتبت عنه الكثير من الكتب و المقالات و حاول الكثيرون البحث في الخلفيات و الأسباب لكل تلك المظاهر و تحليلها و هذا ما سنحاول الحديث عنه في القسم التالي.

القسم الثالث : في خلفيات السياسة الخارجية الأسرائيلية.

يحاول هذا القسم بحث و مناقشة بعض ما قيل و يقال عن الخلفية و الأسباب المؤثرة في ظواهر السياسة الخارجية الأسرائيلية ، تلك الظواهر التي استعرضنا قسماً منها فيما سبق. لقد حاول كثيرون الاجابة على أسئلة من قبيل لماذا ألحت و تلح اسرائيل على التسلح بأسلحة الدمار الشامل و بالأخص السلاح النووي؟ و لماذا تتبع عقيدة عسكرية هجومية ؟ و لماذا ترفض أو تماطل في اعادة أي بقعة من الأرض للعرب ؟ و قد ألقت آرائهم و أجوبتهم أضواءاً أنارت زوايا مهمة في الموضوع ، و في محاولتنا هذه نسعى الى القاء مزيد من الضوء و الاستفادة من خبرات من سبقنا في هذا الميدان لتطوير الرؤيا باتجاه التكامل المعرفي.

المبحث الأول : الاتجاه الذي ركز على الخلفية العقائدية الدينية.

ان من البديهي القول أن هناك (و في أي مجتمع) تأثير متبادل بين المتغيرات الأجتماعية من جهة و شكل و طبيعة الأنشطة السياسية و منها النشاط السياسي الخارجي من جهة اخرى ، فالعوامل التي تؤثر في شخصية أفراد المجتمع يمتد تأثيرها الى مجمل سلوكيات أفراد ذلك المجتمع و أنماط تفكيرهم و من ذلك السلوك و التفكير السياسي لهم. لذلك كان للمعتقدات الدينية و الأعراف و التقاليد و القيم الأجتماعية في المجتمعات اليهودية امتدادات في المسالك و الخيارات

السياسية للمنظومة السياسية الاسرائيلية و كان لذلك الأعتبار دور في تفسير جانب مهم من ظواهر السياسة الخارجية الأسرائيلية.

ان المجتمع الأسرائيلي يوصف بأنه من أكثر المجتمعات المعاصرة ارتباطاً بالنواحي الأيديولوجية[29] فالمعتقدات الفكرية الدينية شكلت مهمازاً للطبقة السياسية لعدم القبول بأي تحديد للحدود النهائية للدولة[30] و منعت يهود العالم من الأندماج مع شعوب الأوطان التي يقطنوها و حثهم على العودة الى ما يسمى أرض الميعاد ، و كونت صورة عن أنفسهم يسيطر عليها الأحساس بالتمايز و التفوق على غيرهم من الشعوب[31]. لقد مارست اسرائيل منذ قيامها و حتى الأن سياسة الاستحواذ و التوسع ، فقد احتلت كامل الأرض الفلسطينية و أجزاء من الدول العربية المحيطة بها خلال حربي عام 1948 و عام 1967 و قد كان للأفكار و الشعارات ذات الجذور الدينية دوراً كبيراً و هاماً في التعبئة الداخلية لهذه السياسة و في التبرير لها على المستوى الدولي الخارجي ، حيث كانت تتذرع بأن سيطرتها على هذه الأراضي انما تنطلق من حقها الألهي فيها وصولاً لبناء دولة اسرائيل الكبرى.

يقول بن غوريون "بالدم و النار سقطت اليهودية و بالدم و النار سوف تعود من جديد"[32]. و تدور معظم أراء القادة الأسرائيليين حول مباديء القوة و العنف و التفوق عند معالجتهم لمفهوم السلام مع العرب و دون مراعاة لقانون دولي أو عرف أخلاقي أنساني ، متأثرين في ذلك بالنصوص الدينية[33] و مثال ذلك ما عبر عنه مناحيم بيغن حيث قال "ان حق الشعب اليهودي في أرض اسرائيل يعني العمل على سلب سيادة الأقطار العربية المجاورة لها عن أراضيها"[34] و كذلك قوله "أن التوراة و السيف أنزلا علينا من السماء" و معتبراً أن مدة التقدم في تاريخ العالم ليست

---

[29] د. حامد ربيع ، من يحكم في تل أبيب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، 1975 ، ص 272.

[30] راجع في ذلك روجيه غارودي ، المأزق : اسرائيل ، ترجمة د. ذوقان قرقوط ، دار المسيرة ، بيروت،1982 ، ص 41 و ما بعدها.

[31] د. كامل أبو جابر ، نظام دولة اسرائيل : اطار القرار السياسي ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، قسم البحوث و الدراسات الفلسطينية ، بيروت 1973 ، ص 46.

[32] عفاف الباز و محمد صابر عنتر ، الترابط بين مفهوم الأمن القومي العربي و المصالح القومية الأوربية ، ندوة علمية عن الحوار العربي الأوربي ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة1978 ، ص 429.

[33] د. جورجي كنعان ، سقوط الأمبراطورية الأسرائيلية ، طبعة أولى ، 1980 ، ص 56.

[34] فضل طلال عباس المحياوي ، مصدر سبق ذكره ، ص 236.

السلام بل السيف[35]. لقج زرعت النصوص الدينية في نفوس الأفراد في المجتمع اليهودي الأسرائيلي مثلاً عليا تاريخية تغذي معتقدات من مثل حق العودة ، حق أغتصاب أرض الغير ، حق الأستبداد و تفوق الشعب المختار و بركات الرب عليه ... الخ. يقول (دي ريفيرا) في هذا الصدد "أننا نتكلم عما يسيطر على المفهوم ، لا على القرار و لما كنا نحاول أن نجيب على السؤال الأساسي عما يحدد الأختيار الواجب أخذه ، فأنه من الضروري أن نرى كيفية ادراك الأفراد للواقع[36].

لقد أجازت الأصولية اليهودية عند التعامل مع الأجناس الأخرى استعمال وسائل الكذب و التضليل لتحقيق غاياتهم[37] و قد انعكس ذلك في الدعاية السياسية و النشاط السياسي و الدبلوماسي قبل نشوء الدولة الصهيونية و بعدها فأصبحت تتقن تضليل الرأي العام العالمي ، أثر القيام بمناورات دعائية و سياسية لتحصل على تأييد قوى دولية مختلفة و تحييد قوى دولية أخرى ، و لو رصدنا حركتها السياسية في أفريقياً مثلاً نجدها تدعي الأشتراكية مع غانا و الرأسمالية مع ساحل العاج و البرلمانية مع سيراليون[38].

لقد شكل الموروث التاريخي من القيم و المباديء و العادات الراسخة في ذهنيات الساسة الأسرائيليون عاملاً مهماً في تحديد الأطارات العامة للدولة و التي تعرف بسوسيولوجيا السياسة و هي القوانين و القيم و العادات و الشرائع المسيطرة على عقول صانعي القرار[39] و التي تأخذ طريقها عن طريق التصور التقييم للمعلومات و ردود الأفعال[40]

المبحث الثاني : الأتجاه الذي ركز على العقائدية السياسية و الجيوبوليتيكية.

---

[35] عفاف الباز و محمد صابر عنتر ، مصدر سابق ، ص 262.

[36] ابراهام واغنر ، القرار الأسرائيلي ، ترجمة ميخائيل الخوري ، دار القدس ، بيروت ، 1978 ، ص ص 74 – 75.

[37] أنور الجندي ، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1977 ، ص ص 79 – 115.

[38] لمزيد من التفاصيل انظر : محمد سلمان المشوخي ، التغلغل الأقتصادي في أفريقيا ، مطبعة الداري ، الأسكندرية ، 1972 ، ص 331.

[39] لمزيد من التفاصيل أنظر : غاستون بوتول ، سوسيولوجيا السياسة ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1974 ، ط 1 ، ص ص 29 – 30.

[40] د. سعد أبو رية ، عملية اتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية ، الضوابط و المقومات ، منشورات دائرة الثقافة و الفنون ، عمان 1983 ، ص ص 118 – 119.

بالرغم من الأهمية الكبيرة للمعتقدات الدينية و الأعراف و التقاليد في تشكيل البناء الفكري للشخصية الأسرائيلية و بالتالي التأثير في القرارات و المواقف التي تتخذها الا أن أسرائيل كدولة و كيان سياسي قائم على أرض الواقع جاءت من رحم الصهيونية و لازال الحبل السري بينهما لم ينقطع. أن الصهيونية و هي حركة سياسية فكرية للمجتمع اليهودي و أن حملت في طياتها و ثناياها أفكاراً و معتقدات دينية يهودية و موروثات من القيم و المباديء و العادات الا أنها حركة معاصرة ولدت في القرن التاسع عشر و لها من الخصوصية والتمييز ما يتيح للبعض افرازها كعامل مؤثر مستقل في بلورة ملامح السياسة الخارجية الأسرائيلية.

بدأت الفكرة الصهيونية عام 1882 في روسيا بعد حملة تهجير و تنكيل تعرض لها اليهود هناك نتيجة أشتراكهم في مؤامرة لتقويض سلطات القيصر و أشاعة أفكار غير مقبولة حيث تلى ذلك نشوء جمعية بأسم جمعية أحباء صهيون (و هو أسم جبل يقع في مدينة القدس) مثلت الجهود المنظمة الأولى لتأسيس حركة سياسية منظمة على مستوى العالم تستهدف عزل اليهود عن جنسياتهم و جمعهم حول انتمائهم الديني و تهجيرهم الى وطن يستقرون فيه. أن الصهاينة ككثير من المتشددين و المتعصبين قد وجدوا متكئاً لهم في بعض أفكار الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (15 تشرين الأول 1844 – 25 أب 1900) الذي عبر في مناسبات عديدة عن أعجابه بجوانب من اليهودية كدين أكثر رجولة في نظره بالمقارنة مع المسيحية التي تتميز بالعاطفية و النفاق حسب رأيه[41]. و يمكن اعتبار نيتشة من الصهاينة غير اليهود (رغم اتهامه بمعاداة السامية) الذين تبنوا فكرة العودة الى فلسطين كوسيلة لأنبعاث اليهود البولنديين. لقد كان هرتزل و أحاد حاعام[42] من تلاميذه اليهود و لكن منافسة هرتزل لمعلمه الألماني تركزت على القدرة على الأبداع و الأبتكار لأنفاذ القوة في ميدانها بشكل واضح ، أما أحاد حاعام فقد فتش في كتابات نيتشه عما يرضي ميله و أستعداده للقبول بصوفية التفوق ، و من ناحية ثانية فقد استحوذت فلسفة نيتشه على عقول بعض المثقفين و الطلاب اليهود. و كما ثار نيتشه ضد المسيحية فقد سخر المثقفون اليهود من ضعف و ميوعة المظاهر الدينية و المعنوية للدين اليهودي.

---

[41] لمزيد من التفاصيل عن أراء و أفكار نيتشه يمكن مراجعة مقالة عنه على موقع موسوعة جامعة ستانفورد الأمريكية على الأنترنت على الرابط التالي :

http://plato.stanford.edu/about.html

[42] أحاد حاعام هو الأسم العبري المستعار الذي أشتهر به الكاتب اليهودي الروسي / الأوكراني الأصل أشير تسفي هيرش كينسبرك (**Asher Zvi Hirsch Ginsberg**) الذي عاش في الفترة بين (18 أب 1856 – 2 كانون ثاني 1927)

يقول أحاد حاعام في تعليقه على كتاب نيتشه الشهير (أعادة تقييم التقييم) : ".. ان اليهودية – الصهيونية بالأحرى – أحتضنت النيتشوية. و لكن نيتشه لكونه ألمانياً رأى التفوق من خلال الصفات الآرية ، و هكذا ولدت أسطورة الوحش الأبيض العادل ، ذلك الوحش القوي الجميل من النوع الألماني الذي يجب أن يسود العالم ، و لو كان نيتشه يهودياً لأختار المتفوق من بين اليهود بعد أن يكون قد أضفى عليه المسحة الأخلاقية ، و ليس هناك من حاجة لخلق نيتشوية يهودية لأنها موجودة منذ قرون فأتباع نيتشه يجب أن يعرفوا أن اليهودية لم توطد نفسها على الرحمة وحدها و لم تجعل رجلها المتفوق خاضعاً للرجال العاديين"[43].

هذه المنطلقات الصهيونية العنصرية كان من أمتداداتها في تطبيقات السياسة الخارجية الأسرائيلية الأصرار على التمسك بالأرض و التوسع في كل الظروف و الأحوال اتباعاً لأفكار و نظريات جيوبولوتيكية تحدثت عن المجال الحيوي للدولة أو الأمة مبررة و مفسرة سياسات التوسع و الصراع بين الدول. في هذا الأطار نجد أقولاً لمفكرين من أمثال راتزل تشير الى أن كل دولة هي بالضرورة في صراع مع العالم الخارجي للدفاع عن الفراغ الذي تشغله و كل دولة متينة التنظيم تحاول زيادة حجم الفراغ الذي تملؤه ، سواء كان هذا الأمتداد يؤمن لها موارد أكثر غزارة ، أم لأنه يؤمن لها سلامة أكثر[44].

ان تقدم مطلب الأمن في السياسة الخارجية الأسرائيلية يجد تفسيره وفقاً لأراء هذا الأتجاه بكونه صدى لأفكار و نظريات جيوبولوتيكية تحولت الى عقائد مصاحبة للعقائد السياسية القومية العنصرية كالنازية و الفاشية و التي تتجسد في الكيان الأسرائيلي بالصهيونية التي أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 تشرين الثاني 1975 عنصريتها.

المبحث الثالث : الأتجاه الذي ركز على مركز صانع القرار و العوامل المؤثرة فيه.

ان القرارت السياسية و منها قرارات و مواقف السياسة الخارجية بغض النظر عن الطريقة الرسمية و القانونية لآلية صنعها هي تتخذ من قبل شخص أو مجموعة أشخاص معينين بأسمائهم و

---

[43] خالد القشطيني ، الجذور الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية في الصهيونية و العنصرية ، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية ، بغداد 8 – 12 تشرين الثاني 1976 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، بيروت تشرين ثاني 1977 ، ص 19.

[44] بيير رينوفان و جان باتيست دورزبل ، مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية ، ترجمة فايزكم نقش ، منشورات عويدات ، بيروت 1967 ، ص 39.

صفاتهم و هي لذلك تتأثر بشكل أساسي بصفاتهم و خصوصياتهم و طبيعتهم المهنية و ما يؤثر فيهم و في تكوين شخصياتهم. أن عوامل و تأثيرات من قبيل العقائد و الأفكار و القيم الدينية و السياسية و تأثيرات البيئة الداخلية للدولة و تأثيرات البيئة الدولية تجد طريقها للتأثير والمشاركة في صنع الحدث السياسي والموقف السياسي عبر شخصية صانع القرار بأعتبار أن القرار يصدر عنه في النهاية و عنده تحسم الأمور. و من هذا المنطلق حاول مجموعة من المختصين و الباحثين تفسير السياسة الخارجية الأسرائيلية على أساس خصوصيات صناع القرار فيها بأعتبارهم مراكز قوى مدنية كزعماء للأحزاب و أعضاء في الكنيست و الوزارة أو عسكرية كقادة للجيش و المؤسسة العسكرية[45].

المبحث الرابع : الأتجاه الذي ركز على تأثيرات البيئة الدولية.

يبدو من البديهي القول أن الكيان الأسرائيلي لم يكن ليولد لولا المساندة و الدعم الدولي من قبل قوى الهيمنة و الأستعمار من أمثال بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية و سائر دول الأستعمار الأخرى و التي وجدت في هكذا كيان ضرورة أستراتيجية لتأمين مصالحها في المنطقة مما أوصل الأمور بينهما الى بناء تحالفات أستراتيجية متجددة بأستمرار و من هذا المنطلق يمكن القول أن البيئة الدولية لها تأثيرات على السياسة الخارجية الأسرائيلية و أن هذه التأثيرات يمكن أن تفسر بعضاً من المواقف و القرارات لهذه السياسة.

لقد تناولت دراسات عديدة حديثة هذا الجانب مبرزة أياه و معتبرة أن لهذه البيئة تأثيرات حاسمة في ادارة دفة العلاقات بين العرب و الكيان الأسرائيلي مدللين على ذلك بالتزامن الحاصل بين أنطلاق عملية التسوية السياسية للصراع العربي الأسرائيلي في 30 تشرين الأول 1991 و تطورات البيئة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة و اعتبار ذلك أحد صور الأرتباط بين متغيرات النظام الدولي و تلك التي تحصل في نظمه الفرعية[46].

---

[45] راجع حول ذلك : الدكتور نظام محمود بركات ، مراكز القوى في اسرائيل 1963 – 1983 دورها في صنع السياسة الخارجية الأسرائيلية : مخطط مراكز القوى و نموذج صنع القرار السياسي ، دار الجليل للنشر ، عمان ، ط 1 تشرين الثاني 1983 ، ص ص 133 – 184.

[46] راجع في هذا الشأن كريم سيد كنبار ، البيئة الدولية و تسوية الصراع العربي – الأسرائيلي بعد الحرب الباردة ، رسالة دكتواره غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد ، أب 1998 ، ص 24.

أن كثيراً من الأحداث و المواقف السياسية في المنطقة يمكن أن نلتمس من خلالها مدى تأثر السياسة الخارجية الأسرائيلية بأوضاع البيئة الدولية حيث لعبت اسرائيل دور الوكيل Proxy المنفذ لمخططات الولايات المتحدة الأمريكية و قامت بعمليات في هذا الصدد تنوعت بين المشاغلة و توجيه الضربات لحركة النهوض و التحرر العربي و التصدي للنفوذ السوفياتي أيام الحرب الباردة و دعم الحلفاء[47].

القسم الرابع : تأثيرات العوامل المادية الطبيعية لمعادلة القوة / القدرة للكيان الأسرائيلي على سياسته الخارجية.

فيما سبق أستعرضنا قسماً من الأراء و الأفكار عن العوامل التي يمكن أن تكون قد أثرت في السياسة الخارجية الأسرائيلية و طبعتها بطابعها ، غير أننا لم نلمس في ذلك كله أي ابراز لتأثير واقع العوامل المادية الطبيعية المكونة لمعادلة القوة / القدرة المتمثلة بعنصري الأرض و السكان بكافة خواصهما و متعلقاتهما و التي سبق و أن أشرنا اليها في المبحث الثالث من القسم الأول من هذه الدراسة. ان عدم الأكتراث هذا قد يكون مبعثه (و من بين عدة أسباب) القلق و الخشية من أحتمال أستخدام مادة الموضوع من قبل الخصم الأسرائيلي بشكل دعائي ذرائعي لخدمة خطابه السياسي.

المبحث الأول : واقع العوامل المادية الطبيعية لمعادلة القوة / القدرة الأسرائيلية.

[47] راجع في هذا الشأن سمير جسام راضي ، أسرائيل في الأستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط : دراسة في الواقع و المستقبل ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد ، أب 1998 ، ص ص 49 – 61.

تقع فلسطين (وهي الارض التي قام الكيان الأسرائيلي على أغتصابها) في الغرب من قارة أسيا بين دائرتي عرض 29,30ْ درجة و 33,15ْ درجة شمالاً و بين خطي طول 34,15ْ درجة و 35,40ْ درجة شرقي غرينتش ، و هي تتوسط مفارق الطرق بين أسيا و أفريقيا و أوربا و تصل ما بين البحر الأبيض المتوسط و البحر الأحمر. يحدها البحر الأبيض المتوسط غرباً و سوريا و الأردن شرقاً ، و لبنان و سوريا شمالاً و شبه جزيرة سيناء (جمهرية مصر العربية) و خليج العقبة جنوباً[48].

تبلغ مساحة الجزء الذي تعترف البيئة الدولية (قرارات الأمم المتحدة و مواقف مختلف المنظمات و الدول) لأسرائيل بحق السلطة و السيادة فيه بحدود 20 ألف كيلومتر مربع و هو ذو شكل مغزلي يبلغ أقصى امتداد له بين الشمال و الجنوب بحدود 417 كيلومتر بينما يبلغ معدل العرض بين حدود الضفة الغربية و ساحل البحر الأبيض المتوسط حوالي 21 كيلومتر و يضيق في بعض النقاط (قلقيلية) ليصبح فقط 15 كم[49].

تنقسم هذه الأرض من الوجهة الجغرافيا الطبيعية الى أربعة أقسام :

1. **المنطقة الساحلية التي تشمل السهل الساحلي الفلسطيني الممتد من رأس الناقورة شمالاً الى رفح جنوباً.**
2. **المنطقة الجبلية التي تمتد وسط البلاد و تضم مرتفعات الجليل و مرتفعات نابلس و مرتفعات القدس و في هذه المنطقة تقع معظم الأماكن المقدسة لدى المسلمين و المسيحيين و اليهود.**
3. **منطقة الغور التي تقع شرقي فلسطين و يخترقها نهر الأردن و تنخفض فيها الأرض الى أشد انخفاض أرضي في العالم.**
4. **منطقة صحراء النقب و تساوي تقريباً نصف مساحة فلسطين الكلية و تشكل القسم الجنوبي من البلاد و هي مثلثة الشكل تقريباً ، و تعتبر مدينة بئر السبع المدينة الرئيسية**

---

[48] الدكتور عبد المنعم عبد الوهاب ، جغرافية العلاقات السياسية ، دراسة و تحليل تطبيقي لعلم الجيوبوليتكس و الجغرافيا السياسة ، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر و التوزيع ، الكويت ، ص 201.

[49] عباس غالي الحديثي ، مشاكل بناء القوة في الدول الصغيرة ، دراسة تطبيقية لدولة الكويت ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الأداب ، قسم الجغرافيا ، بغداد 1990 ، ص8.

في المنطقة و هي مهد انطلاقة النبي ابراهيم في دعوته و مسقط رأس ابنه اسماعيل جد العرب العدنانيين[50].

لقد تعرضت فلسطين في أواخر الألف الرابع و أوائل الألف الثالث قبل الميلاد الى موجة هجرة سامية عربية كبيرة هي الموجة الأمورية الكنعانية ، فنزل الأموريون داخل بلاد الشام و جنوبها الشرقي ، و استوطن الكنعانيون ساحلها و جنوبها الغربي و نسبة لهؤلاء كانت فلسطين تسمى في البدء (أرض كنعان) و ظلت تعرف به حتى عام 1200 ق.م حينما غزتها بعض القبائل الكريتية و أستقرت على الشاطيء بين غزة و يافا فسميت المنطقة باسم (فلسطين) نسبة الى أسم القبيلة الكريتية الغازية ، و قد اندمج الفلسطينيون مع الكنعانيين و تزاوجوا و أصبح الكنعانيون هم العنصر الغالب و بمرور الزمن أصبح سكان البلاد من الكنعانيين العرب و بقي اسم الأرض (فلسطين)[51]. و بالرغم من تعرض هذه المنطقة للغزوات من شتى الجهات فقد أحتفظت بصفتها اذ كان الغزاة في معظم الحالات عابرين ، و من أقام منهم لم يلبث أن اندمج مع السكان الأصليين.

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي و مع ظهور الحركة الصهيونية كحركة سياسية يهودية منظمة تسعى لجمع اليهود في وطن قومي تدعيه لهم بدأت عمليات هجرة واسعة منظمة لليهود بأتجاه أرض فلسطين و قد كان تعداد سكان هذه الأرض في ذلك الحين حوالي المليون نسمة يشكل العرب نسبة 98% منهم فيما يشكل اليهود نسبة 2% فقط[52]. لقد تطور هذا الواقع الديموغرافي ليصبح عام 1948 وقت قرار التقسيم على الصور[53]ة التالية :

1-في الأراضي المخصصة للقسم العربي و تتألف من الجليل الغربي ، و منطقة نابلس الجبلية و السهل الساحلي الممتد من أسدود حتى الحدود المصرية ، بما في ذلك منطقة الخليل و جبل القدس و غور الأردن الجنوبي و تبلغ مساحة هذه المنطقة 12 ألف

---

[50] الدكتور عبد المنعم عبد الوهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص202.

[51] نفس المصدر

[52] نفس المصدر ، ص205.

[53] المقدم الهيثم الأيوبي و أخرون ، الموسوعة العسكرية ، الجزء الأول من أ الى ح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، بيروت 1977 ، ص651.

كيلومتر مربع يقطنها 661 ألف نسمة منهم 11 ألف يهودي و 650 ألف عربي و يملك اليهود فيها مائة كيلومتر مربع فقط بينما يملك العرب الباقي.

2-في الأراضي المخصصة للقسم اليهودي و تتألف من الجليل الشرقي و مرج عامر و القسم الأكبر من السهل الساحلي و منطقة النقب و بئر السبع و تبلغ مساحة هذه المنطقة التي تعتبر أخصب أراضي فلسطين 14,2 ألف كيلومتر مربع و يقطنها 990 ألف نسمة منهم 530 ألف يهودي و 460 ألف عربي و يملك العرب ثلثي مجموع مساحة أراضي هذه المنطقة و عقاراتها.

و في العام 1988 بلغ عدد سكان الكيان الأسرائيلي 3,663,000 نسمة منهم 85% يهود (اشكناز و سفرديم) و الباقي 15% عرب[54]. و وفقاً للقياسات النسبية المقارنة لهذه الجوانب بين دول المنطقة فأن هذه المؤشرات لحجم الأرض و السكان للكيان الأسرائيلي تجعله دولة صغيرة في الحجم الجغرافي و أن كان له دورٌ ذو حجم يزيد على ذلك بكثير.

المبحث الثاني : تأثيرات الحجم على مجمل أوضاع الدولة.

1-الأوضاع الأقتصادية : لكل من الحجم و عدد السكان تأثيره الملموس على التطور الأقتصادي للدولة[55] ، فالتركيب الأقتصادي للأمم الصغيرة يكون أقل تنوعاً من الأمم الكبيرة. فكما هو معروف أن حجم السكان يحدد حجم القوة العاملة و في ظل عدد السكان الصغير للدول فأن مجمل العمالة الماهرة سيكون بالقطع صغيراً أضافة الى قلة ذوي الخبرات الفنية المتخصصة[56].

---

[54] وزارة الخارجية العراقية ، دليل المعلومات عن دول العالم ، الطبعة الثانية ، بغداد 1988 ، ص1267.

[55] د. حسن علي الأبراهيم ، الدول الصغيرة و النظام الدولي : الكويت و الخليج ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت 1982 ، ص79.

[56] شيلا هاردن ، الصغر .. خطر : دويلات في عالم كبير ، ترجمة د. وليد عبد الحي ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق 1989 ، ص192.

أن هذا الأمر قد يختلف بعض الشيء في حالة الكيان الأسرائيلي بأعتبار أن التجمع السكاني فيه لم يتم وفقاً للسياقات التقليدية للدول و أنما جاء نتيجة الهجرة الأستعمارية الأستيطانية و التجميع شبه الأنتقائي للخبرات و الكوادر المؤهلة لليهود من كل أنحاء العالم ألا أن ذلك في كل الأحوال يبقى مقيداً بالأطار العام للحجم الصغير.

أن صغر حجم السكان يؤدي بالتبع الى صغر حجم السوق. فمن الثابت أن النمو السكاني يساعد على تطوير و تشجيع الأستثمار و خلق مشاريع جديدة و توسيع الأسواق و أيجاد أسواق جديدة كما يساعد على تقسيم أجتماعي داخلي للعمل أكثر عمقاً و أتساعاً[57] يجعل البلد منتجاً لسلع عديدة متنوعة في حين أن المجتمعات الصغيرة غالباً ما تتخصص في انتاج سلعة معينة أو عدد محدود من السلع معتمدة على غيرها من الدول في سد أحتياجاتها من بقية السلع.

أن اسرائيل تمتلك أقتصاداً يفتقر الى التنوع فأغلب منتوجاتها زراعية و صناعات حربية وأن تخصصها في الصناعات الحربية أمراً يحمل دلالة مزدوجة للصغر في الحجم فهو من جهة يعكس ضعف الموارد نتيجة صغر الحجم و من جهة أخرى يعكس ضغوط الهاجس الأمني الذي يعتبر صغر الحجم أحد العوامل المحفزة لأستثارته.أن ميل أقتصاد الدولة نحو الأقتصاد أحادي الجانب يربط حياتها بحركة التجارة العالمية[58] مما قد يعرضها لظروف صعبة تصبح فيها تحت رحمة تذبذبات حركة السوق و تقلباتها أضافة الى أن الدول الصناعية الكبرى و هي تستخدم وسائل الضغط الأقتصادي للتاثير على الدول تلاقي وسائلها نجاحاً أكبر تجاه الدول الصغرى حيث تبدو أقتصادياتها هشة و شديدة الأستجابة للتغيرات التي تقع في محيطها الخارجي[59].

أن مساحة الأرض تؤثر بلاشك على كمية الموارد الطبيعية المتاحة[60] و كقاعدة عامة نجد أنه كلما صغرت أرض الدولة كلما قلت فرصة تعدد مواردها الطبيعية[61] فالمساحة الجغرافية

---

[57] منصور الراوي ، دور السكان في النمو الأقتصادي ، منشورات غرفة تجارة بغداد ، بغداد 1975 ، ص27.

[58] Simon Kuznets , Economic Growth of Small Nation in E.A.G Robinson ed., The Economic Consequence of the Size of Nations , Macmillan , London 1966 PP 18-21.

[59] حسن علي الأبراهيم ، مصدر سبق ذكره ، ص79.

[60] جيمس دورثي – روبرت بالتسغراف ، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ، الكاظمة للنشر و التوزيع ، الكويت 1985 ، ص44.

الكبيرة تعني موارد أكثر و تباين في التجهيز و مزايا مناخية ، مما يعني قدرة أكبر للتنوع الأقتصادي[62] و لا يجب أن يفهم من هذا أن الأقطار الصغيرة لا تمتلك موارد و لكن يمكن القول أنها تمتلك تنوعاً أقل ، و حتى في حالة تواجد معادن معينة فأن صغر المساحة قد يكون عائقاً أمام جعل التعدين عملية أقتصادية ، من جهة أخرى ثمة مفارقة في أقتصاد البلدان الصغيرة مؤداها أنه من الصعب جداً الحصول فيها على قروض خاصة على حين أن هذه البلدان تعاني من تبعية مفرطة حيال المعونة الدولية و الثنائية حيث تمثل التبعية الأقتصادية أحد عناصر الضعف الرئيسية في كيانات الدول الصغيرة و المتخلفة منها بشكل خاص.

في هذا الأطار نجد الأقتصاد الأسرائيلي يعتمد اعتماداً رئيسياً على القروض و المساعدات الأمريكية بشكل خاص[63]. أن الدولة التي تعتمد على المعونة الخارجية لابد و أن يؤثر هذا الواقع الملموس على مدركات صانع القرار فيها مما ينعكس على مواقفه و قراراته في السياسة الخارجية و لابد له أن يستجيب للضغوط التي يسلطها عليه و الخيارات المقيدة التي يضعها أمامه.

2-الأوضاع الأجتماعية و الحضارية : أن صغر حجم الدولة و قلة عدد سكانها و نوعية موقعها و تطورها التاريخي يجعلها متجانسة و متكاملة و متماسكة Intact بصورة أكبر من الدولة الكبيرة. و تعتبر الجماعة الوطنية متجانسة عندما تنتمي الى (تتكون من) مجموعة أثنية واحدة سواء كانت لغوية او قومية او عرقية او دينية او غير ذلك الى درجة عدم وجود جماعات فرعية (أقليات أثنية) بين ظهرانيها و أن وجدت فأن وجودها لا يثير مشكلات ذات شأن على صعيد الوحدة الوطنية .. و يتعزز ذلك بوجود نظام سياسي مركزي[64].

---

[61] William E , Paterson , Small States in International Politics Cooperation and Conflict , No. 2 , 1969 , P 121.

[62] C. D. Edwards , Size of Markets : Scale of Firms and The Character of Competition, in Robinson, OP, Cit , P 126.

[63] سمير جسام راضي ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 76 – 88.

[64] عبد السلام أبراهيم البغدادي ، الوحدة الوطنية و مشكلة الأقليات في أفريقيا : دراسة نظرية تطبيقية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، بغداد 1990 ، ص7.

ان صغر الدولة يساعد النظام السياسي على زيادة قابليته لأختراق الجماهير و التغلغل و النفوذ الى أعماقها ، و لهذا يندر وجود أزمة أندماج داخلي في الدول الصغيرة نظراً للقابلية العالية للنظام السياسي في تلك الدول على أعادة التوزيع للأفكار و القيم و الثروة بين الأفراد و المناطق مقارنة مع الدول كبيرة المساحة لذلك تميل الدول الصغيرة لأن تكون موحدة ثقافياً Culturally Unified[65].

أن المجتمع الأسرائيلي بالرغم من أنقسامه الى يهود شرقيين (سفارديم) و غربيين (أشكناز) و ظهور التمايز و الخلاف بينهما الا أن صغره و ما ينتج عنه من هاجس أمني بالاضافة لظروف التحفز العدواني لديه جعلته يبقى محتفظاً بتماسك ظاهر.

3-الأوضاع العسكرية : بالرغم من أختفاء أنواع معينة من السلاح و صنوف معينة من الجيش من حياة البشرية الا أن السلاح بمختلف أنواعه و الجيش بمختلف صنوفه كان و لا يزال و سيبقى الى ما شاء الله جزءاً أساسياً في كيان الدول ، و حتى اليوم لازالت النيران وحدها لا تستطيع تحقيق النصر الكامل و الناجز مهما كانت درجة شدتها و لابد للقوة البرية و الرجال المقاتلين من مسك الأرض و أزاحة الخصم و تأدية أدوار مهمة في تحقيق أهداف الدولة ، لذلك كان لأعتبارات الجغرافيا السياسية و العسكرية دور في تفسير و توضيح جوانب من سياسة الدولة و أوضاعها و مواقفها في الداخل و الخارج بالرغم من التطور العلمي و الكنولوجي للسلاح و المعدات العسكرية و أساليب تعبئتها و أستخدامها.

أن لموقع الكيانات الصغيرة بين دول كبيرة و قوية أثاراً لا يمكن أغفالها من الناحية العسكرية و السياسية. و قد برهنت وقائع الحرب العالمية الثانية على أهمية عامل مساحة الدولة و تأثيره الواضح على مجمل أوضاعها فقد أنهارت الدول الأوربية الصغيرة أمام قوات جاراتها التي تفوقها مساحة و بسرعة تتناسب طردياً مع صغر المساحة ، فمثلاً أضطر الجيش الهولندي الى الأستسلام بعد أربعة أيام فقط رغم محاولات الدفاع اليائسة[66].

ان المساحة الصغيرة للدولة تؤثر على خططها الأستراتيجية و عقيدتها العسكرية كذلك ، فمثلاً ليس في وسعها أن تأخذ بعقيدة أحتواء التعرضات المعادية لعدم وجود عمق عملياتي

---

[65] د. صادق الأسود ، علم الأجتماع السياسي ، مطبعة الأرشاد ، بغداد 1973 ، ص ص 285 – 288.

[66] د. كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الأستراتيجية ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، شركة أياد للطباعة الفنية ، بغداد 1988 ، ص156.

من الناحية العسكرية ، فلن يكون عندها حينئذ ما تقدمه ريثما ترتب هجومها المضاد و لذلك تميل هذه الدول الى بناء قوتها على فكرة الحرب الخاطفة و الهجوم الأستباقي و نقل الحرب الى أرض الخصم. فهي بذلك تبعد عن مركز أراضيها و أهدافها أثار القتال و العمليات العسكرية. و قد تبحث الدول عن تعزيز أمنها الذي يعتريه الوهن بسبب صغر الحجم الى خلق مناطق عازلة بينها و بين جيرانها[67].

و أذا كانت الدول الصغرى تعاني بشكل عام من صعوبة الدفاع في حالة الهجمات التقليدية ، فأنها في حالة الهجوم النووي ستتعرض الى تدمير يمكن أن يكون كاملاً أضافة الى أنه لن يكلف المهاجم عناءاً كبيراً مع أكتضاض أهدافه بالمنشأت الحيوية و أرتفاع كثافة السكان مقارنة مع الدول الواسعة المساحة التي يكون سكانها و منشأتها موزعة على مسافات متباعدة عن بعضها البعض بحيث يمكنها أمتصاص الهجوم[68] لذا تحاول بعض الدول الصغرى التي تتوفر لديها تضاريس أرضية معقدة الأستفادة من تلك التضاريس في حماية منشأتها عن طريق بناء تلك المنشأت في أعماق تلك التضاريس فتحميها من أخطار الهجمات المعادية*.

و يتفاعل شكل الدولة مع مساحتها في التأثير على فاعلية و قوة الدولة و في هذا الأطار فأن الكيان الأسرائيلي يتمتع بأسوأ تفاعل بين الشكل و المساحة لكيان صغير فأقصى أمتداد بين الشمال و الجنوب 417 كيلومتر بينما يبلغ معدل العرض بين الساحل على البحر الأبيض المتوسط و حدود الضفة الغربية طبقاً لأتفاقيات الهدنة لعام 1949 بحدود 21 كيلومتر يضيق في بعض المناطق ليصبح حوالي 15 كيلومتر فقط[69]. أن بأستطاعة مختلف الأسلحة أن تنال من المراكز الأقتصادية و السكانية فيها.أن التطور الكبير في التقنية العسكرية و زيادة القدرة التدميرية بواسطة الأسلحة النووية و الكيمياوية و

---

[67] المصدر نفسه ، ص157.

[68] المصدر نفسه ، ص155.

* فالسويد مثلاً أستطاعت أن تضع صناعاتها الأستراتيجية في مواقع أمينة في كهوف واسعة محفورة في باطن الجبال بأحجام ضخمة تتسع لأكثر من 20 ألف نسمة و مزودة بكل مقومات الحياة و هي من المتانة بحث تتحمل الأنفجار الذري الا اذا أصاب مدخلها مباشرة ، أنظر : عبد المنعم عبد الوهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص74.

[69] راجع في هذا الشأن رسالتي للماجستير الموسومة : دبلوماسية الدول الصغرى : الواقع و المستقبل ، و المقدمة الى كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، 1993 ، ص41.

البيولوجية لم تغير من حقيقة أن حجم السكان الكبير شرط ضروي لأنشاء جيش كبير و أن حجم الجيش لا يزال يحسب له حساب في ميزان القوى بين الدول. أن حجم السكان الصغير يمكن أن يفرض قيوداً على حجم القوات الوطنية التي يمكن تجنيدها و التي تكون من الشبان القادرين على حمل السلاح و الذين سيكونون أكثر جدوى عند تشغيلهم في قطاعات أقتصادية ، خدمية أو أنتاجية في الدولة. و تمثل التكلفة الباهضة للمعدات العسكرية و تشغيلها و صيانتها مشكلة هامة للدول الصغرى و النامية في نفس الوقت.

المبحث الثالث : العلاقة بين الواقع المادي و السلوك السياسي الأسرائيلي.

في القسم الثالث من هذه الدراسة أستعرضنا عدد من الأراء و الأتجاهات التي حاولت تفسير السلوك السياسي الخارجي الأسرائيلي و رغم اتفاقنا مع جميع هذه الأراء و الأتجاهات بأعتبارها مقولات موضوعية تعكس و تستند الى أسس واقعية تم تحليلها و صياغتها بأساليب علمية رصينة الا أننا وجدنا و وفقاً لما قدمناه من عرض أن الواقع الجغرافي المؤسس لمعادلة القوة / القدرة يمكن أن يكون له دور في رسم و تشكيل ملامح السياسة الخارجية.
أن ضعف العوامل المادية الطبيعية المكونة لمعادلة القوة / القدرة للكيان الأسرائيلي (الأرض و السكان) و تأثيرات ذلك على مجمل أوضاع ذلك الكيان ساهم في تقدم و زيادة ضغط الهاجس الأمني عند جميع أفراد المجتمع الأسرائيلي و تشكيلاته الاجتماعية و السياسية مما أستتبع ضغطاً قوياً متواصلاً على مدركات صناع القرار السياسي لأتخاذ مسالك و أتجاهات و قرارات معينة في محاولة لأصلاح الخلل البنيوي في تلك المعادلة و معالجة جوانب الضعف فيها و ذلك عبر سلسلة أجراءات منها :

1. **الأستفادة من كل الفرص الكامنة و المتاحة في البيئة الدولية (القوانين و الأعراف و التقاليد و المعاهدات و الأتفاقات بين الدول) و محاولة أستثمارها بالأسلوب الأمثل و هذا ما جعل الدبلوماسية الأسرائيلية نشطة الى أقصى الحدود و بشكل غير تقليدي ربما ليس له مثيل لا في الماضي و لا في الحاضر حيث نلمس ذلك جلياً في كل المجالات.**

2-الأستفادة الى أقصى ما يمكن من كل الموارد القليلة المتيسرة لبناء قوات عسكرية متفوقة نوعياً و تكنولوجياً و فعالة و سريعة الأستجابة و رد الفعل لمعالجة مشاكل النقص في المساحة و الحجم.

3-أتباع أستراتيجيات هجومية في أدارة العلاقات الخارجية و على مختلف المستويات العسكرية و السياسية و الدبلوماسية و في مختلف أوجه و صفحات العلاقة مع المحيط الخارجي.

4-التشبث بالأرض الى أقصى حد ممكن و الابداع في أبتكار الأساليب و المقاربات و طرح المبررات المتعددة و المتنوعة لخدمة هذا المبدأ و في هذا الاطار نجد المسلك و التجربة الصهيونية حافلة بالأمثلة و الخبرات التي يمكن التعمق في دراستها و استخلاص العبر و الدروس المفيدة منها

الخاتمة :

مما تقدم نخلص الى أن : لمقومات القوة / القدرة للدولة تأثير واضح في سياسة الدولة الخارجية و أن أغفال ذلك يؤدي الى فجوة في البناء العلمي و المعرفي في حقل الدراسات السياسية مما تنجم عنه أشكاليات عديدة. أن ما حاولنا أستكشافه في هذه الدراسة و ظهر جلياً لنا في الأستنتاجات التي خلصنا اليها من أن بعض مواقف السياسة الخارجية الأسرائيلية متأثرة بأوضاع معادلة القوة / القدرة لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال مصدر تبرير للسياسات الاجرامية الظالمة لذلك الكيان ، فمناقشة مدى مشروعية الأفعال و تبريرها قضية اخرى مختلفة تستلزم طرق بحث مختلفة هذا فضلاً عن أن الكيان الذي أنشيء على أساس الظلم و العدوان و الأغتصاب و الغدر و الخديعة هو بداهة و منذ البدء عاري من أي مشروعية أو مبرر أو ذريعة. أننا في دراستنا هذه أنما نحاول فقط أن نفهم و بشكل علمي موضوعي جانباً من ألية أو ميكانزم العلاقة بين ظواهر و خواص معينة في السياسة الخارجية و بعضاً من خواص عناصر تكوين الدولة. أن الفائدة المجنية لهذه المحاولة لفهم و تفسير السياسة الخارجية الأسرائيلية أنما يتجلى في المعرفة المتحصلة عن ذلك الكيان التي أن نحن أحسنا التعامل معها من خلال أستراتيجية

سياسية و دبلوماسية مقابلة فعالة مبنية على المعرفة الدقيقة مما سيتيح لنا التوصل الى تحقيق بعض الخلل و الاختلال في موازنات العدو.

أن المناورات السياسية و الدبلوماسية الذكية و المخطط لها جيداً قد تؤدي أدواراً لا تقل أهمية من حيث النتائج عن أهمية الجهد العسكري ، و في عمل شمولي مشترك و منظم غالباً ما تكون فيه حسابات الحقل مقاربة لحسابات البيدر و من الله التوفيق.

<u>المصادر</u> :

أولاً : الوثائق

1- **وزارة الخارجية العراقية ، دليل المعلومات عن دول العالم ، الطبعة الثانية ، بغداد 1988.**

ثانياً : الرسائل الجامعية

1- **بسمة خليل نامق ، دبلوماسية الدول الصغرى : الواقع و المستقبل ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، 1988.**
2- **رعد أسماعيل العزاوي ، السياسة الخارجية الأسرائيلية : دراسات في الثوابت ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، 1994.**
3- **سعد جاسم محمد ، سياسة بناء القوة في المفهوم الصهيوني ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، رسالة دكتوراه ، قسم الجغرافيا ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، أب 1985.**
4- **سمير جسام راضي ، أسرائيل في الأستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط : دراسة في الواقع و المستقبل ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، أب 1998.**
5- **عباس غالي الحديثي ، مشاكل بناء القوة في الدول الصغيرة ، دراسة تطبيقية لدولة الكويت ، رسالة دكتوراه ، قسم الجغرافيا ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، 1990.**
6- **عبد السلام أبراهيم البغدادي ، الوحدة الوطنية و مشكلة الأقليات في أفريقيا : دراسة نظرية تطبيقية ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1990.**

7- علي محمد سعيد ، الأطار الدولي للسياسات الخارجية لدول العالم الثالث ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، 1989.
8- غسان عبد العزيز المانع ، دور الدبلوماسية الأسرائيلية في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأسرائيلية : التسوية مع مصر ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، 1997.
9- فضل طلال عباس المحياوي ، السياسة الخارجية الأسرائيلية و ابعاد التعامل الأقليمي ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة 1990.
10- كريم سيد كنبار ، البيئة الدولية و تسوية الصراع العربي الأسرائيلي بعد الحرب الباردة ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، 1998.

ثالثاً : الكتب العربية

1- د. أحمد بدر ، أصول البحث العلمي و مناهجه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الرابعة ، 1978.
2- أحمد بهاء الدين ، أسرائيليات ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، طبعة 5 ، 1972.
3- أنور الجندي ، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، دار الأعتصام ، القاهرة 1977.
4- الياس شوفاني ، مشاريع التسوية الأسرائيلية 1967 – 1978 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت 1978.
5- د. جورجي كنعان ، سقوط الأمبراطورية الأسرائيلية ، طبعة أولى 1980.
6- د. حامد ربيع ، من يحكم في تل أبيب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 1975.
7- د. حسن علي الأبراهيم ، الدول الصغيرة و النظام الدولي : الكويت و الخليج ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت 1982.

8- خالد القشطيني ، الجذور الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية ، في الصهيونية و العنصرية ، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية المنعقد في بغداد ، 8 – 12 تشرين الثاني 1976.
9- د. زياد خالد الدليمي ، الأتفاق الأستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية و اسرائيل 1981 ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية 1986.
10- الفريق أركان حرب سعد الدين الشاذلي ، حرب أكتوبر : مذكرات ، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة و النشر ، بيروت ، طبعة أولى 1980.
11- د. سعد أبو رية ، عمليات أتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية : الضوابط و المقومات ، منشورات دائرة الثقافة و الفنون ، عمان 1983.
12- د. سلمان رشيد سلمان ، أسرائيل و التسوية ، دار ابن خلدون ، بيروت 1975.
13- أ. د. صادق الأسود ، علم الأجتماع السياسي ، مطبعة الأرشاد ، بغداد 1973.
14- أ. د. عبد الرضا الطعان و أ. د. صادق الأسود ، مدخل الى علم السياسة ، جامعة بغداد ، مطابع جامعة الموصل ، الموصل 1986.
15- عبد المنعم عبد الوهاب ، جغرافية العلاقات السياسية ، دراسة و تحليل تطبيقي لعلم الجيوبولتكس و الجغرافيا السياسية ، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر و التوزيع ، الكويت
16- عفاف الباز و محمد صابر عنتر ، الترابط بين مفهوم الأمن القومي العربي و المصالح القومية الأوربية ، ندوة علمية عن الحوار العربي الأوربي ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة 1978.
17- د. فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية و أبعادها في السياسة الدولية ، مطبعة شفيق ، بغداد 1975.
18- فكرت نامق فتاح ، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية 1953 – 1958 ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1981.
19- د. فايز صايغ ، الدبلوماسية الصهيونية ، دراسات فلسطينية 13 ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، مطابع فغالي ، بيروت 1967.

20- د. كامل أبو جابر ، نظام دولة أسرائيل : اطار القرار السياسي ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، قسم البحوث و الدراسات الفلسطينية ، بيروت 1973.
21- لمياء فوزي الكيالي ، أعباء التسلح على الأقتصاد الأسرائيلي ، في مجموعة باحثين التسلح في العالم الثالث ، جامعة بغداد ، مركز دراسات العالم الثالث ، مطبعة جامعة الموصل 1989.
22- د. كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، جامعة بغداد 1978.
23- د. كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الأستراتيجية ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، مطبعة شركة أياد للطباعة الفنية ، بغداد 1988.
24- مازن أسماعيل الرمضاني ، السياسة الخارجية ، دراسة نظرية ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد 1991.
25- محمد سلمان المشوخي ، التغلغل الأقتصادي في أفريقيا ، مطبعة الداري ، الأسكندرية 1972.
26- نظام محمود بركات ، مراكز القوى في اسرائيل 1963 – 1983 و دورها في صنع السياسة الخارجية الأسرائيلية ، مخطط مراكز القوى و نوذج صنع القرار السياسي ، دار الجليل للنشر ، عمان ، طبعة أولى تشرين الثاني 1983.
27- منصور الراوي ، دور السكان في النمو الأقتصادي ، منشورات غرفة تجارة بغداد 1975.
28- المقدم الهيثم الأيوبي و أخرون ، الموسوعة العسكرية ، الجزء الأول من أ الى ح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى ، بيروت 1977.

رابعاً : الكتب الأجنبية المترجمة

1- ابراهيم واغنر ، القرار الأسرائيلي ، ترجمة ميخائيل الخوري ، دار القدس ، بيروت 1978.
2- بيير رينوفان و جان باتيست دوروزبل ، مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية ، ترجمة فايزكم نقش ، منشورات عويدات ، بيروت 1967.
3- جيمس دورثي و روبرت بالتسغراف ، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ، الكاظمة للنشر و التوزيع ، الكويت 1985.

4- شيلا هاردن ، الصغر .. خطر : دويلات في عالم كبير ، ترجمة د. وليد عبد الحي ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق 1989.
5- غاستون بوتول ، سوسيولوجيا السياسة ، منشورات عويدات ، بيروت 1974.
6- روجيه غارودي ، المأزق : اسرائيل ، ترجمة د. ذوقان قرقوط ، دار المسيرة ، بيروت 1982.

خامساً : المقالات و الدوريات

1- د. عبد المنعم سعيد ، أدارة الأزمات و الصراعات الدولية : الأسئلة التي يجب أثارتها في الواقع العبي الراهن ، مجلة المنار ، العدد 20 ، السنة الثانية ، أب 1986.
2- د. جاري محمد ، القدرة في التنظيم الدولي المعاصر ، المجلة العربية للدراسات الدولية ،المركزالعربي للدراسات الدولية ،السنة الاولى، صيف 1988.
3- د. مازن أسماعيل الرمضاني ، السياسة الدولية ، بحث في منهج أتخاذ القرار السياسي الخارجي ، مجلة العلوم السياسية و القانون ، كلية القانون و السياسة ، الجامعة المستنصرية ، العدد الأول 1976.
4- د. محمد طه بدوي ، تعريف بالسياسة الخارجية .. و بمناهجها الثورية في المجال الدولي ، المجلة المصرية للعلوم السياسية ، العدد 39 حزيران 1964.
5- مجلة الدستور العدد 411 في 20 / 1 / 1986 لندن.
6- نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية 16 / 1 / 1971.

سادساً : المصادر الأجنبية :

1- Ben Gurion , Rebirth and Destiny of Israel , New York 1954.
2- Simon Kuznets , Economic Growth of Small Nation in E. A. G. Robinson ed., The Economic Consequence of the Size of Nations , Macmillan , London 1966.
3- William E. Paterson , Small States in International Politics : Cooperation and Conflict , Vol No. 2 , 1969.